المحاضرة: 9 « كتاب اللامات » للزّجاجي (ت 337هـ)

مدخل:

التأليف في الحروف طريقة معروفة عند العرب؛ فقد تناول العلماء العرب الحديث عن الحروف ودرسوها بطرق مختلفة وآراء متباينة."والأصل في الكتب المؤلفة في الحروف، أن يتناول المؤلف الحروف العربية حرفا حرفا ويبيّن خصائصه الصوتية، منفردا ومع غيره"[1].

وكتب الحروف أنواع منها: الكتب التي لم تتخصّص فيها ، وإنّما تتناول الحروف بين طيّاتها. والكتب التي تخصّصت في الحروف عامّة، أي موضوعها الحروف دون غيرها، "وأوّل منْ نُسب له كتاب في الحروف الخليل"[2] . ومن أمثلة هذا النوع "الحروف" لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت255هـ)،"معاني الحروف" لأبي الحسن الرماني(ت384)، و"الجنى الدّاني في حروف المعاني" لأبي محمد بدر الدّين حسن المصري(ت749هـ). وللزّجاجي - أيضا - كتاب عنوانه «حروف المعاني والصفات».

وهناك كتُب أُفرِدتْ في معاني حرف واحد فقط، مثل" الهمز"لأبي زيد الأنصاري(ت215هـ)[3]، و"الألفات" لابن خالويه، وككتاب الزجاجي موضوعنا وغيرها.

أولا: التعريف بالزجاجي:

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، النحوي البغدادي داراً ونشأة، النهاوندي أصلاً ومولداً ، حيث ولد بنهاوند جنوب همذان. نزل بغداد ولقي أستاذه إبراهيم بن السّري الزجاج ، فلازمه حتى نسب إليه . انتقل إلى حلب فأقام بها مدة ، ثم سكن دمشق وانتفع الناس به وتخرجوا عليه، حيث درّس وأملى. توفي بدمشق وقيل بطبرية ، ومات بها سنة 337هـ .

---

[1] . ينظر: محمد آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب إل نهاية القرن الثالث ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط1 ، 1980، ص190.

[2] . ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب إل نهاية القرن الثالث ، ص192.

[3] . الدراسات اللغوية عند العرب إل نهاية القرن الثالث ، ص191.

كان الزجاجي شديد الولع بالعلم والتحصيل والأخذ من علماء عصره وهم: الزجاج و محمد بن رستم الطبري، وابن كيسان ، وابن شقير ، وابن الخياط، وابن السراج ، وغيرهم. كما كان له تلاميذ كثيرون[1].

عاش الزجاجي في القرن الرابع الهجري ، الذي حفل بإنتاج خصب للعقلية العربية الإسلامية في أوج نضجها ورقيها. فكان كان إماماً في علم النحو ، أنموذجا لثقافة علمائه، نشيطا في التأليف المتنوع، حيث شمل النحو والصرف واللغة والأدب .

كان الزجاجي من العلماء الذين أخذوا من كلّ بطرف. فقد أخذ عن كوفيين وبصريين، وعمّن جمعوا بين المذهبين. فكان بعيدا عن التعصب والتقليد ، ذا فكر حرّ ورأي مستقلّ . ومع ميله إلى البصرة في أكثر الأحيان ، إلا أنّه عرض حججَ الكوفيين واستعمل بعض مصطلحاتهم واعترف بفضل شيوخه منهم .

من مؤلفاته الجمل في النحو، الأمالي، الإيضاح في علل النحو، شرح مقدمة (أدب الكاتب)، اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل، الإبدال والمعاقبة والنظائر، المخترع في القوافي، الهجاء، المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه ، معاني الحروف منهم[2].

ثانيا: التعريف بالكتاب:

1 ـ عنوانه:

عنْونَ الزّجاجي كتابه بـ (اللامات)، جمع (لام)؛ لأنّها موضوعه الأساس ، حيث بيّن أنواعها وأحكامها، ولم يتناول غير حرف(لام). يقول عنها صاحب " الجنى الداني": هي" حرف كثير المعاني والأقسام.وقد أفرد لها بعضهم تصنيفاً،وذكر لها نحواً من أربعين معنى. وأقول: إنّ جميع أقسام اللام، التي هي حرف من حروف المعاني، ترجع عند التّحقيق إلى قسمين: عاملة، وغير عاملة "[3].

---

[1] . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 3 / 136 .

[2] . ينظر : كتاب اللامات ، تحقيق: مازن المبارك ، دار الفكر، دمشق ، ط2، 1985، ص11 .

[3] . أبو محمد بدر الدين حسن المرادي المصري ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1، 1413 هـ ، 1992 ، ص95 .

2 - مقدمته:

جعل لكتابه مقدّمة موجزة جدّا ، عرّف فيها بموضوعه ، وعدد اللامات المذكورة فيه ، وأسماءها.

3 - مضمونه :

كتاب (اللامات) من كتب الحروف ، حجمه مئة وسبع وتسعون(197) صفحة. تحدّث فيه الزجاجي عن حرف (اللام) في اللغة العربية ومواضعه في القرآن الكريم، وفي كلام العرب وأحكامه المختلفة ، والخلافات بين النحويين حوله، فجمع كل ما يتعلّق بها وبأحكامها، مستشهدا بالآيات القرآنية والأبيات الشعرية .

يقول في مقدّمته عن مضمون كتابه: "هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب، وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصرفها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف"[1].

وفي الكتاب ست وثلاثون بابا هي:

• **ثلاثون بابا:** لأنواع اللامات. وهي عنده إحدى وثلاثون لاما ، لكنه جمع (لام) المستغاث به و(لام) المستغاث من أجله في باب واحد. وأوّل أبواب الكتاب هو « بابُ ذكر اللام الأصلية »[2]. وبعدها الأبواب الآتية: «لام التعريف ، ذكر ما يمتنع اجتماعه مع الألف واللام اللتين للتعريف وما يمتنع إدخاله على هذه الألف واللام وذكر معاني الآن وعلة بنائه ، في تبيين وجوه دخول الألف واللام على الأسماء المشتقة من الأفعال ، لام الملك ، لام الاستحقاق ، لام كي ... » .

• **أربعة أبواب:** لمسائل تتصل باللام ، مثل الأبواب: « ما يمتنع اجتماعُه مع الألف واللام اللتين للتعريف[3] ، دخول الألف واللام على الأسماء المشتقة من الأفعال»[4].

• **الباب الخامس والثلاثون :** وعنوانه « أحكام اللامات في الإدغام »[5] .

---

[1] . كتاب اللامات ، تحقيق: مازن المبارك ، دار الفكر، دمشق ، ط2، 1985، ص31.

[2] . ينظر: المرجع نفسه ، ص33.

[3] . ينظر: المرجع نفسه ، ص50 .

[4] . ينظر: المرجع نفسه ، ص57 .

[5] . ينظر: المرجع نفسه ، ص151 .

• **الباب السادس والثلاثون** : لمسائل صغيرة متفرقة . « باب من مسائل اللام نختم به الكتاب»[1]. « مسألة من القرآن»[2].

وقد أنهى كتابه بقوله: " كمل الكتاب بحمد الله وعونه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليما كثيرا . وكان الفراغ من تعليقه يوم الثلاثاء المبارك ، تاسع عشر صفر المظفر سنة إحدى وستين"[3].

4 ـ منهجه:

• لم يكن الزجاجي يقبل كل آراء سيبويه ، بل خالفه في بعضها[4].

يمتاز الزجاج بـ:[5]

• خبير بأسلوب الحوار والجدل ، منطقي العرض ، يقدّم المسألة بإيجاز ، ويورد أحسن ما قيل فيها من الآراء والحجج . ثم يقوّي ويضعّف .

• الدقة والأمانة في النقل والرواية. يقدم السند مع خبَرَه والاسم مع شاهده .

• الشرح والتوضيح والتعليل .

• توقّع السؤال: فإن قال قائل:... فنقول: ...[6] ، فإن قال قائل:... قيل له: ...[7].

فإن قال قائل: ... فالجواب في ذلك أن: ... [8]، فإن قال قائل:... قلنا: ... [9].

• البعد ـ عموما ـ عن الحشو والاستطراد ، كما وصفه في المقدمة.

5 ـ المـآخذ :

• المقدمة موجزة جدا ، وخلوها من دوافع التأليف والمنهج المتّبع .

• طول بعض عناوين أبوابه، مثل « ما يمتنع اجتماعُه مع الألف واللام اللتيْن للتعريف، وما يمتنع إدخاله على هذه الألف واللام وذكر معاني(الآن) وعلة بنائه »[10].

---

[1] . المرجع نفسـه ، ص156.

[2] . كتاب اللامات ، تح: مازن المبارك ، دار الفكر، دمشق ، ط2 ، 1985، ص160.

[3] . المرجع نفسـه ، ص197.

[4] . ينظر: المرجع نفسـه ، ص10.

[5] . المرجع نفسـه ، ص11.

[6] . ينظر: المرجع نفسـه ، ص52.

[7] . ينظر: المرجع نفسـه ، ص62.

[8] . ينظر: المرجع نفسـه ، ص69.

[9] . ينظر: المرجع نفسـه ، ص75.

[10] . ينظر: المرجع نفسـه ، ص50.